آراء الأمام الذهبي في التصوف

أ.م.د. عبد القادر احمد يونس و أ.م.د محمد عبد الله احمد*

تأريخ التقديم: ٢٠١٤/١/١٢ تأريخ القبول: ٢٠١٤/٢/١٩

مدخل:

يعد الإمام الذهبي احد كبار علماء الأمة الإسلامية ، واحد ابرز علماء الحديث ومن شيوخ الجرح والتعديل ،ومن المؤرخين المشاهير. صنف العديد من كتب الطبقات والتراجم التي درس فيها تاريخ العلماء والشخصيات المختلفة وترجم لهم ذاكراً سير حياتهم الشخصية والعلمية وابرز شيوخهم وتلامذتهم وأقوال العلماء فيهم من مدح وثناء أو قدح وذم،واستعرض مؤلفاتهم وإبداعاتهم . ثم يشير إلى مدى ثقة هذا العالم أو ذاك ، ويشير إذا كان غير ثقة أو كان متهماً بتهمة ما . وأحتوت كتبه قيمة علمية كبيرة ؛لأنه دوّن الحياة الفكرية والعلمية للعلماء والمذاهب والفرق الإسلامية في عموم العالم الإسلامي .

وما يهمنا من آرائه وأقواله ما ذكره عن التصوف وموقفه من الصوفية ، عندما ترجم لهم في كل مصنفاته ،ككتاب"تاريخ الإسلام"،وكتاب "سير أعلام النبلاء"، وكتاب"تذكرة الحفاظ"،وكتاب "العبر في خبر من غبر"،وكتاب "المعين في طبقات المحدثين" ،وهي كتب في غاية الأهمية لمن يروم دراسة العلماء ومعرفة الاتجاهات العلمية والفكرية ومشارب العلماء وفرق المسلمين.

فهل كان الذهبي ينكر التصوف ويعده بدعة دخلت الإسلام ويصب جام غضبه على المتصوفة كلما ترجم لأحدهم في كتبه ويذم أهله ومنتحليه ،وما مدى مصداقية الذهبي وشفافيته وهل التزم بالمنهج العلمي ، مجرداً نفسه من اعتقاده ومذهبه دون الميل إلى هذه الفرقة أو ذاك المذهب سواء من مدح وثناء أكثر مما يستحقونه ، والقدح وذكر المثالب لذاك المذهب والفرقة ولإعلامهم والتغاضي عن ذكر كل انجازاتهم أو بعضها وثناء أهل العلم عليهم ، وهل اتهام السبكي لشيخه الذهبي_كان حقيقة أم مجرد ادّعاء خال من الصحة_ في عدم العدالة والمنهجية، فعندما يترجم للحنابلة يثني عليهم ويذم

* قسم التاريخ/ كلية الآداب/ جامعة الموصل .

التصوف وأعلامه حقدا منه عليهم.[1] فهذا إشكالية يحاول الباحثان الإجابة عنها بعد قراءة متمعنة وفاحصة لكل أقوال الذهبي وآراءه في التصوف وتقييمه لإعلامهم في كتبه كلها.

فالذهبي له منهج عام سار عليه والتزم به ولم يحد عنه في كل تراجمه متجردا من اهواءه ونزعاته المذهبية بدليل انه لا يرضى على بعض سلوكيات الحنابلة وينتقدها بل يذمها كما انه لا يعادي المتصوفة ولا يشن عليهم حربا بقلمه الجريء بل يقبل بالتصوف النقي ويمدح أعلامه ويثني عليهم ويذكر أقوالهم الحسنة في كتبه، بل يحاول أن يحمل بعض أقوالهم محملا حسنا ما أمكن ويجد تفسيرا مقبولا للبعض الآخر ، وفي الوقت نفسه يؤشر على سلبية بعض الأقوال ويذم القول لا صاحبه الذي قاله فان له بموازاة ذلك أقوال صالحة فهو لا يرفض الشخص بمجرد قول قاله، ويثني على بعض مؤلفاتهم وان فيها الخير ، بل انه يتأسف على الزمان الذي ليس فيه أمثال أعلامهم، ولكن في الوقت نفسه لا يقبل التصوف جملة واحدة إنما يذم الشخص الذي عنده شطحات اعتقاديه وتأويلات فلسفية الحادية فمثل هؤلاء الذين يعدون على أصابع اليد يرفضهم الذهبي بل ويحاربهم بقلمه ويبين سوء معتقدهم حسب رأيه،على إننا نؤمن أن كل إنسان يؤخذ منه ويرد عليه إلا المعصوم سيدنا محمد صلى الله عليه واله وسلم.

وقد قسمنا البحث إلى مباحث تضمن الأول : أراء الذهبي في كرامات الأولياء،وتطرق المبحث الثاني إلى موقفه من التزام الصوفية بالكتاب والسنة ،والمبحث الثالث: تناول مدى اهتمام الصوفية بالعلوم الدينية. وفيما خصص المبحث الرابع في مدح الذهبي وثناءه على الصوفية . والمبحث الخامس بيّن أرائه وتقييمه لبعض الشخصيات الصوفية ومؤلفاتهم ، والمبحث السادس والأخير تتبع آراؤه في التصوف الفلسفي والغلو والشطحات .

---

[1] السبكي تاج الدين بن علي بن عبد الكافي، طبقات الشافعية الكبرى، ، تحقيق : د. محمود محمد الطناحي د.عبد الفتاح محمد الحلو،ط٢، هجر للطباعة والنشر والتوزيع (د م_ ١٤١٣هـ) ٢١٨/٣.

المبحث الأول: آراء الذهبي في كرامات الأولياء:

إن المتتبع لمنهج الذهبي في نظرته إلى كرامات الأولياء نجد أنه يقر بهذه الكرامات ولا ينكرها . وهو منهج الكثير من العلماء الذين لا يستبعدون وقوعها لمن استقام على منهج الدين القويم . وهكذا نجده ينقل بعض كرامات الصوفية ويعلق عليها ومن هذه الكرامات:

فقد روي عن جعفر بن محمد الأبهري وهو تلميذ الشيخ أبو علي القومساني النهاوندي قوله " دخلت على الشيخ أبي علي بن مزدين وهو في محرابه بعدما ذهب بصره ، فجلست خلف العمود أفكر في نفسي ، هل بقي في الدنيا من يتكلم على السر ، فلم استكمل خاطري حتى صاح الشيخ من المحراب فقال : يا جعفر لم تقول كذا وهل تخلو الدنيا من أولياء الله الذين يتكلمون على السر " [١].وروى الذهبي عن أبي اسحق الاسفراييني إبراهيم بن محمد[٢]

انه كان ينكر كرامات الأولياء ولا يجوزها ويعلق عليها بقوله : " وهذه زلة كبيرة " [٣] وروى عن السمعاني قوله " قال لي شيخٌ: كان جدك أبو المظفر عزم على المجاورة في صحبة سعد الإمام فرأى والدته كأنما كشفت رأسها تقول يا بني بحقي عليك إلا ما رجعت إلي فإني لا أطيق فراقك قال فانتبهت مغموماً أشاور الشيخ فأتيت سعداً ولم اقدر من

---

[١]الذهبي محمد بن أحمد بن عثمان، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام تحقيق : د. عمر عبد السلام تدمرى،ط،١ دار الكتاب العربي (بيروت – ١٩٨٧) ، ٢٧ / ١٣٣ ؛ سير أعلام النبلاء، تحقيق : شعيب الأرناؤوط ، محمد نعيم العرقسوسي،ط٩، مؤسسة الرسالة(بيروت – ١٤١٣) ٤٦٩/١٦.

[٢] ينظر ترجمته: الصيرفيني إبراهيم بن محمد، المنتخب من كتاب السياق لتاريخ نيسابور ، تحقيق : خالد حيدر، دار الفكر للطباعة والنشر التوزيع(بيروت – ١٤١٤هـ)١٢٧/١ ؛الذهبي ، سير أعلام ٣٥٣/١٧.

[٣] الذهبي ، سير أعلام ، ١٧ / ٣٥٥ .

الزحام أن اكلمه فلما قام تبعته فالتفت إلي وقال : " يا أبا المظفر العجوز تنتظرك ودخل بيته فعلمت أنه كاشفني فرجعت تلك السنة " [١].

قال أبو سعد السمعاني " كان سعد – المذكور آنفاً – حافظاً متقناً ثقة ورعاً كثير العبادة صاحب كرامات وآيات .. " [٢].وفي ترجمة الشيخ حماد بن مسلم أبو عبد الله الدباس الرحبي(ت٥٢٥هـ/ ١١٣٠م)نجده يصفه بالزاهد العارف ومن الأولياء أصحاب الكرامات وأنه صحب الخلق فأرشدهم إلى الله عز وجل وظهرت بركته عليهم ، وكان يتكلم على الأحوال[٣]مع انه كان أُميّاً لا يكتب إلا انه كتبوا عنه نحو مائة جزء [٤]. وقال عنه المبارك بن كامل " كان مكاشفاً يتكلم على الخواطر مسلوب الاختيار ، زيه زي الأغنياء ، وتارة زيه زي الفقراء ..وكان شيخ وقته " [٥] ويدافع الذهبي عن الشيخ حماد الدباس فيما اتهمه به ابن الجوزي وهو مشهور في نقده لبعض الصوفية [٦]حيث قال ابن

---

[١] الذهبي ، سير أعلام ، ١٨ / ٣٨٦،؛ ؛تاريخ الإسلام، ٣٢/ ٤٦ ؛تذكرة الحفاظ ،ط١ ، دار الكتب العلمية (بيروت– د ت)، ٣/١١٧٤.؛هو الشيخ سعد بن محمد الزنجاني كان اماما حافظا ثقة عالما عابدا شيخ الحرم صاحب كرامات توفي سنة (٤٧١هـ/١٠٧٨م) ينظر ترجمته: ابن عساكر علي بن الحسن،تاريخ دمشق، تحقيق : عمر بن غرامة العمري،دار الفكر(بيروت– ١٩٩٥)، ٢٠/ ٢٧٣؛ الذهبي ، سير أعلام ، ١٨/ ٣٨٥؛

[٢] الذهبي ، سير أعلام ، ١٨ / ٣٨٦ .

[٣]الأحوال : الغيبة والحضور والصحو والسكر والوجد والهجوم والغلبان والفناء والبقاء كلها أحوال القلوب المتحققة بالذكر والتعظيم لله عز وجل . ينظر: الحفني عبد المنعم، معجم مصطلحات الصوفية، ط٢ ، دارالمسيرة (بيروت : ١٩٨٧) ص١١.

[٤] الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ٣٦ / ١٢٨–١٢٩ .

[٥] الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ٣٦ / ١٢٩ .

[٦]ابن الجوزي عبد الرحمن بن علي، تلبيس إبليس، تحقيق : أيمن صالح شعبان ، دار الحديث، (القاهرة – ٢٠٠٢) ص ٥٥.

الجوزي" كان حماد الدباس على طريقة التصوف يدعي المعرفة والمكاشفة وعلوم الباطن ، وكان عارياً عن علم الشرع فلم ينفق إلا على الجهال "[١]

ويعلق الذهبي بقوله : " وقد نقم ابن الأثير[٢]وسبط ابن الجوزي على اتهام ابن الجوزي لحماد: ولو لم يكن لحماد من الفضائل التي اتصف بها في زهادته وطريقته ، ألا أن الشيخ عبد القادر احد تلامذته "[٣] لكفاه .

وذكر عن علي بن عمر بن محمد ابو الحسن القزويني الحربي الزاهد[٤](ت٤٤٢هـ/١٠٥٠م) أنه " كان علم الزهاد والصالحين وإمام الأتقياء الورعين . وله كرامات ظاهرة ومعروفة يتداولها الناس عنه . لم يزل يقرئ ويحدث إلى أن مات "[٥]وروى عن ابي بكر المتقي الحربي كرامة لأبي الحسن القزويني إذ قال: " حضرت والدي الوفاة ، فأوصى إلي بما افعله ، وقال : تمضي إلى القزويني وتقول له : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام وقال لي : اقرأ على القزويني مني السلام ، وقل له : العلامة انك كنت بالموقف في هذه السنة ، فلما مات أبي جئت إلى القزويني ، فقال لي ابتداء : مات أبوك قلت : نعم ،فقال : رحمه الله وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصدق أبوك ، وأقسم علي أن لا احدّث به في حياته ، ففعلت "[٦] فهذه كرامة للقزويني سكت عنها

---

[١]ابن الجوزي عبد الرحمن بن علي بن محمد ، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ،ط١، دار صادر(بيروت – ١٣٥٨هـ) ١٧ / ٢٦٦ ؛ الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ٣٦ / ١٣٠؛ سير أعلام ١٩/ ٥٩٥.

[٢]ابن الأثير علي بن محمد، الكامل في التاريخ، ط٢، تحقيق : عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية (بيروت – ١٤١٥هـ) ٩/٢٦٠.

[٣]الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ٣٦ / ١٣٠؛ سير أعلام ١٩/ ٥٩٥ .

[٤]ينظر ترجمته: الخطيب البغدادي أحمد بن علي، تاريخ بغداد ، دار الكتب العلمية (بيروت– د ت) ،١٢/٤٣؛ ابن الأثير علي بن محمد،اللباب في تهذيب الأنساب، دار صادر – (بيروت – ١٩٨٠) ٣/٣٥ .

[٥]الذهبي، سير اعلام، ١٧/٦١٠.

[٦]تبصير المنتبه بتحرير المشتبه، تحقيق : علي محمد البجاوي ، محمد علي النجار، المكتبة العلمية (بيروت – د ت) ، تاريخ الإسلام ، ٣٠ / ٦٤–٦٥ .

الذهبي ولم يفندها أو يكذبها ، ويظهر من هذه الرواية الكشف الذي يتمتع به القزويني منها معرفته بوفاة والد المتقي الحربي ومعرفته للرؤيا التي رأى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم طلبه من المتقي الحربي أن لا يحدث بذلك في حياته وهي كرامة من طراز آخر تثبت مدى صدق القزويني وخوفه من الشهرة وما يقود إليها .

أما سلطان بن محمود البعلبكي الزاهد [١] (ت٦٤١هـ/١٢٤٢م)فقد عده من كبار أولياء الله وله كرامات وأقوال ، وروى عن الشيخ معالي خادم الشيخ سلطان انه سأل الشيخ سلطان فقال له " ياسيدي كم مرة رحت إلى مكة في ليلة . قال : ثلاث عشرة مرة . قلت : فالشيخ عبد الله اليونيني وهو من أصحابه قال : الشيخ عبد الله لو أراد أن لا يصلي فريضة إلا في مكة لفعل " ويعلق الذهبي على ذلك بقوله " وفي النفس شي من ثبوت هذه الحكايات ..أما مضي الولي إلى مكة فممكن ولكن ذلك بلطيفته لا بهذا الجسد فالذي أسرى به ليلاً إلى المسجد الأقصى هو سيد البشر ، وذاك كان بجسده لا يشاركه في ذلك بشر إلى أن يشاء الله " [٢].

وتحدث عن الشيخ عيسى بن احمد بن الياس اليونيني[٣]الزاهد (ت٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م)وصاحب عبد الله اليونيني – المذكور آنفاً – وذكر انه كان يقال له سلاب الأحوال ،لأنه ما ورد عليه احد من أرباب القلوب ولم يتأدب معه إلا سلبه حاله ، وكانت له كرامات ظاهرة . وقد سلب جماعة من الفقراء أحوالهم ، ومن كراماته الأخرى أن الناس

---

[١] ينظر ترجمته الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ٤٧ / ٧٦؛ الصفدي صلاح الدين خليل بن ايبك ، الوافي بالوفيات، احمد الارناؤوط وتركي مصطفى ، دار إحياء التراث(بيروت– ٢٠٠٠)، ٩٥/٥؛ ابن العماد عبد الحي بن أحمد ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق عيد القادر الارناؤوط ومحمود الارناوط، ط١، دار ابن كثير (دمشق–١٤٠٦هـ) ، ٢١١/٥.

[٢] الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ٤٧ / ٧٦–٧٧ .

[٣]تنظر ترجمته : الذهبي محمد بن احمد بن عثمان، العبر في خبر من غبر، تحقيق صلاح الدين المنجد، ط٢ ،مطبعة حكومة الكويت،(الكويت–١٩٨٤)،٢١٨/٥؛ ابن العماد ، شذرات الذهب، ٢٦٦/٥.

اشتكوا إليه من دودة أصابت أشجار التفاح فأرادوا منه حرز فأعطاهم ورقة فشمعوها وعلقوها على شجرة فزالت الدودة عن كل الوادي وأثمرت أشجار التفاح [١].

أما أبو بكر بن قوام بن علي البالسي[٢]الزاهد(ت٦٥٨هـ/١٢٦٠م) احد مشايخ الشام وكان صاحب أحوال وكرامات ،فبعد أن يصفه بأنه كان عالماً حسن الأخلاق لطيف الصفات وافر الأدب والعقل دائم البشر كثير التواضع شديد الحياء كثير المتابعة للسنة والشريعة مع المجاهدة والمراقبة .يعلق بقوله : " هذه صفات الأولياء والأبدال[٣]" [٤].ومن كراماته الأخرى أن الشيخ شمس الدين الخابوري وكان من مريديه وقع في نفسه ان يسأله عن الروح فلما دخل عليه قال له قبل أن يسأله عن الروح يا أحمد ألا تقرأ القرآن ؟ فأجابه نعم اقرأه ياسيدي قال، فقال اقرأ يابني : (ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما اوتيتم من العلم الا قليلاً)[٥]ثم قال له يا بني شيء لم يتكلم به رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يجوز الكلام فيه [٦].

أما الشيخ أحمد بن يوسف بن حسن الشيباني[٧]العلامة الزاهد الكبير موفق الدين ابو العباس الكواشي المفسر(ت ٦٨٢هـ/ ١٢٨٣م)فيقول عنه كان له كشف وكرامات روى عنه: "عن عبد للشيخ صالح انه خدم الشيخ سنين وان الشيخ كان ينفق من الغيب

---

[١]الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ٤٨ / ٧٧ .

[٢] تنظر ترجمته:الصفدي، الوافي ١٢١/٢٢؛ ابن العماد ، شذرات الذهب، ٢٦٦/٥

[٣]الابدال : يروون الحديث في هذه الأمة ثلاثون رجلاً قلوبهم على قلب أبراهيم الخليل كلما مات رجل ابدل الله مكانه رجلاً . ينظر: الحفني، معجم المصطلحات ص٨ .

[٤]الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ٤٨ / ٧٧ .

[٥]الإسراء / الآية ٨٥.

[٦]الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ٤٨ / ٧٧ للمزيد حول كراماته ينظر الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ٤٨ / ٧٧ .

[٧]تنظر ترجمته: الذهبي محمد بن أحمد بن عثمان، المعين في طبقات المحدثين، تحقيق : همام عبد الرحيم سعيد،ط١، دار الفرقان ،(عمان – ١٤٠٤هـ)٢١٦/١؛ الداودي أحمد بن محمد، طبقات المفسرين، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي،ط١،مكتبة العلوم والحكم ،(السعودية– ١٩٩٧)٢٥٧/١.

وإنني ابداً ما طلبت من الشيخ درهماً أو أقل أو أكثر إلا قال : خذ . ويشير إلى كوة ، فأجد ما طلبت لا يزيد ولا ينقص "[١]ويعلق الذهبي " وكان ينبغي أن يتورع عن اخذ ما في الكوة لجواز أن يكون هذا من الجان ، وما ذلك ببعيد ، هذا إن صحت هذه الحكاية وأنا اعتقد صحتها ، واعتقد صلاحه ، وجواز أن يكون مخدوماً والله اعلم ،ولا تنكر له الكرامات رحمه الله تعالى " [٢].

وقد أشار الذهبي إلى العديد من الصوفية بأنه كانت لهم أحوال وكرامات منهم أبو سعيد فضل بن أبي بكر محمد بن احمد الميهني [٣]الصوفي الزاهد(٤٤٠هـ/١٠٤٨م) القدوة شيخ خراسان وهو صاحب أحوال ومناقب ووقع في النفوس وتأله وجلالة [٤]. وذكر كرامة لـ بنان الحمال[٥]الصوفي(ت٣١٦هـ/ ١٠٣٢م) بقوله " يروى انه كان لرجل على آخر دين مئة دينار فطلب الرجل الوثيقة فلم يجدها فجاء الى بنان ليدعو له فقال له" أنا رجل قد كبرت وأحب الحلواء اذهب واشتر لي من عند دار فرج رطل حلواء حتى أدعو لك ففعل الرجل فقال بنانا افتح ورقة الحلواء ففتح فإذا هي الوثيقة فقال هي وثيقتي قال

---

[١]الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ٥٠ / ٣٤٤ ، ٣٤٥ .

[٢]تاريخ الإسلام ، ٥٠ / ٣٤٥ .

[٣]ينظر ترجمته الذهبي ، سير أعلام ، ١٧ / ٦٢٢ ؛ الصيرفيني، المنتخب، ٤٨٨/١.

[٤] الذهبي ، سير أعلام ، ١٧ / ٦٢٢ .

[٥]تنظر ترجمته : السلمي محمد بن الحسين، طبقات الصوفية، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا

،ط١، دار الكتب العلمية (بيروت . ١٩٩٨)٢٢٤/١؛ الشعراني عبد الوهاب بن أحمد، الطبقات الكبرى المسماة بلواقح الأنوار في طبقات الأخيار ، تحقيق : خليل المنصور، دار الكتب العلمية(بيروت –١٩٩٧) ١٤٠/١.

خذها واطعم الحلواء صبيانك " [١]. وممن ذكر انه صاحب كرامات وأحوال الزاهد الكبير خير النساج أبو الحسن البغدادي [٢].

وينقل عن كتاب "مرآة الزمان" عن الشيخ عبد القادر[٣]" كان سكوت الشيخ عبد القادر أكثر من كلامه وكان يتكلم عن الخواطر وظهر له صيت عظيم وقبول تام ... وكان له كرامات ظاهرة " ويعلق الذهبي على ذلك بالقول : " قلت ليس في كبار المشايخ من له أحوال وكرامات أكثر من الشيخ عبد القادر لكن كثير منها لا يصح وفي بعض ذلك أشياء مستحيلة" [٤] والمهم انه يعترف بان له كرامات وان كان لا يصدق قسما منها. وممن ذكر لهم من الكرامات أبو العباس السبتي الزاهد شيخ المغرب في عصره حمد بن جعفر الخزرجي كان صاحب كرامات وأحوال ومقامات[٥]وفراسات ودعوات مستجابات وهو مشهور بذلك [٦]. وكذلك محمد بن عبد الله أبو بكر الزقاق الذي كان من كبار مشايخ الصوفية وصاحب كرامات [٧].وكذلك احمد بن محمد بن علي القومساني النهاوندي الزاهد(٣٨٧هـ/٩٩٧م) وهو شيخ الصوفية وله آيات وكرامات ظاهرة [٨]. وعن مودود الذهبي الزاهد البغدادي(٥٧٨هـ/١١٨٢م) ذكر أنه كبير القدر ومن أولياء الله

---

[١] الذهبي ، سير أعلام ، ١٤ / ٤٩٠.

[٢]الذهبي ، سير أعلام ، ١٥ / ٢٧٠ ؛ تنظر ترجمته: ؛ السلمي، طبقات الصوفية،٢٤٧/١؛ الاصبهاني أبو نعيم أحمد بن عبد الله، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، ط٤،دار الكتاب العربي (بيروت – ١٤٠٥)٣١٠/١٠؛الخطيب البغدادي،تاريخ بغداد ٢/ ٤٨.

[٣]الشعراني، الطبقات الكبرى ،١٨١/١.

[٤]سير أعلام ، ٢٠ / ٤٥٠ .

[٥]مقامات : مقام معناه مقام العبد بين يدي الله عز وجل فيما يقام فيه من المجاهدات والرياضات والعبادات ، وشرطه أن لا يرقى من مقام إلى مقام ما لم يستوفي أحكام ذلك المقام ، مثل التوبة ، الورع ، ينظر: الحفني، معجم المصطلحات،ص٩٨.

[٦] الذهبي ، سير أعلام ، ٤٣ / ٣٩٩ ، ، تاريخ الإسلام ،٤٠٠/٤٣.

[٧] الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ٢٣ / ٣٣٣، تنظر ترجمته: الاصبهاني ، حلية الأولياء، ٣٤٤/١٠ ، الخطيب البغدادي،تاريخ بغداد، ٤٤٢/٥ .

[٨] الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ٢٧ / ١٣٣ ؛ سير أعلام ، ٤٦٩/١٦ .

المكاشفين [١]. ومحمد بن إبراهيم بن عبد الواحد المقدسي الحنبلي(ت ٦٧٦هـ/١٢٧٧م) قال: تحكى عنه كرامات ومكاشفات " [٢]. ومحمود بن سلطان بن محمود البعلبكي الزاهد القدوة " كان من الأولياء الأفراد وأرباب الأحوال والمعاملات " [٣] وغيرهم كثير .

ويروي الذهبي عن أبو الحسين النوري[٤] (ت ٢٩٥هـ/٩٠٧) يقول " كان في نفسي من هذه الكرامات فأخذت من الصبيان قصبة ثم قمت بين زورقين وقلت وعزتك لئن لم تخرج لي سمكة فيها ثلاثة أرطال لأغرقن نفسي قال فخرجت لي سمكة ثلاثة أرطال قال فبلغ ذلك الجنيد فقال حكمة الله تخرج له أفعى فتلدغه " [٥]. وقد تحققت له هذه الكرامة ومما يستوقف النظر تعليق الجنيد البغدادي على ذلك ، ذلك أن الجنيد يعد ذلك هفوة من الهفوات فالعباد لا يطلبون الكرامات .

المبحث الثاني: موقف الذهبي من التزام الصوفية بالكتاب والسنة

هناك من يزعم ان الصوفية لا يراعون حدود الشريعة الإسلامية إلا ما ندر،[٦] لقد كان الذهبي ممن فرقوا بين الصوفية الذين التزموا بالشريعة الإسلامية من غير الملتزمين بها ، وهذا يدل على انه كان لا يرفض الصوفية والتصوف بإطلاق ،بل نجده يثني ويمدح الكثير منهم وفي هذا الموضوع – أي الالتزام بالشريعة الإسلامية_ . نجده يستشهد بقول مشهور لأبي الحسين النوري " من رأيته يدعي مع الله حالة تخرج عن الشرع فلا تقربن منه" [٧]. وينقل عن أبي عبد الرحمن السلمي(ت٤١٢هـ/١٠٢١م) [١] شيخ الصوفية قوله "

---

[١] الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ٤٠ / ٢٧٣ ؛ المختصر المحتاج إليه من تاريخ الحافظ الدبيثي،ط١، دار الكتب العلمية (بيروت – ١٩٨٥) ٣٦١/١٥ .

[٢] الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ٥٠ / ٢٤١ ،

[٣]الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ٥١ / ٨٩ .

[٤]تنظر ترجمته: السلمي، طبقات الصوفية،١٣٥/١؛ الاصبهاني ، حلية الأولياء، ٢٤٩/١٠؛ الخطيب البغدادي،تاريخ بغداد، ١٣٠/٥ .

[٥]سير أعلام ، ١٤ / ٧٢ .

[٦] ابن الجوزي ، تلبيس إبليس، ص٣٥٦ وما بعدها.

[٧] الذهبي ، سير أعلام ، ١٤ / ٧٢ .

أصل التصوف ملازمة الكتاب والسنة وترك الأهواء والبدع وتعظيم حرمات الشارع ورؤية أعذار الخلق والدوام على الأوراد " [٢]. وعنه ايضاً قال أبو سليمان الداراني(ت٢١٥هـ/٨٣٠م) :" ربما تقع في قلبي النكتة من نكت القوم اياماً فلا اقبل منه إلا شاهدين عدلين من الكتاب و السنة " [٣].

وكان أبو حفص النيسابوري الزاهد شيخ الصوفية(ت٢٧٠هـ/٨٨٣م) يقول: " من لم يزن أحواله كل وقت بالكتاب والسنة ولم يتهم خواطره فلا تعده " [٤]. وقال أبو حفص أيضاً: " أحسن ما يتوسل العبد به إلى مولاه دوام الفقر إليه على جميع الأحوال وملازمة سنة رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) في جميع الأفعال ، وطلب القوت جهده من وجه حلال " [٥]. مما يدل على تمسكه بالشريعة والسنة النبوية الشريفة ، وقال سهل بن عبد الله التستري(٢٨٣هـ/٨٩٦م)[٦] :" أصولنا ستة أشياء : التمسك بالقرآن ، والاقتداء بالسنة ، وأكل الحلال ، وكف الأذى ، والتوبة ، وأداء الحقوق " [٧]. وهي أصول منبعها الدين الإسلامي الحنيف ، والمهم عندنا ان الذهبي يسوق هذه الأقوال في تراجم الصوفية وهو يمدحهم ويثني عليهم . وفي ترجمة أبو عثمان الحيري الشيخ الإمام المحدث الواعظ القدوة شيخ الإسلام الأستاذ أبو عثمان بن سعيد بن إسماعيل النيسابوري

---

[١]تنظر ترجمته: الصيرفيني، المنتخب، ١٨/١؛ السيوطي ،عبد الرحمن بن أبي بكر ،طبقات الحفاظ، ط١، دار الكتب العلمية (بيروت–١٤٠٣هـ)، ٤١١/١؛المحمدي ،عبد القادر موسى، نشأة التصوف الإسلامي في العراق،ط١،من اصدارات مشروع بغداد عاصمة الثقافة العربية(بغداد–٢٠١٣)ص١٢٨.

[٢] الذهبي ، سير أعلام ، ١٧ / ٢٤٩ .

[٣] الذهبي ، سير أعلام ، ١٨ / ٢٣١؛وينظر: السلمي، طبقات الصوفية،٧٦/١ ؛ تنظر ترجمته: الاصبهاني ، حلية الأولياء ، ٢٥٤/٩ ؛ الخطيب ، تاريخ بغداد ٢٤٨/١٠.

[٤] الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ٢٠٢ / ١٤٤؛ تنظر ترجمته : السلمي، طبقات الصوفية،١٠٣/١؛ الخطيب ، تاريخ بغداد ١٢/ ٢٢٠.

[٥] الذهبي ، سير أعلام ، ٢٠٢ / ١٤٥ .

[٦]تنظر ترجمته : السلمي، طبقات الصوفية،١٠٣/١؛

[٧] الذهبي ، سير أعلام ، ٢١٢ / ١٨٨ .

الصوفي(٢٩٨هـ/٩١٠م) قال:" سمع من أبي جعفر بن حمدان صحيحه المخرّج على مسلم بلفظه وكان إذا بلغ سُنَّةً لم يستعملها وقف عندها حتى يستعملها " ويعلق الذهبي على ذلك بقوله " هو للخراسانيين نظير الجنيد للعراقيين " [١].وقد ورد عنه قوله" من أمّر السنة على نفسه قولاً وفعلاً ، نطق بالحكمة ، ومن أمّر الهوى على نفسه نطق بالبدعة"[٢] ، لقوله تعالى(وإن تطيعوه تهتدوا) " [٣]. وواضح من كلام الذهبي مكانة أبي عثمان الحيري وواضح ايضاً كيف يستنير بآيات القرآن الكريم في أقواله . وقال أبو القاسم الجنيد بن محمد(ت٢٩٧هـ/٩٠٩م) [٤]" علمنا مضبوط بالكتاب والسنة و من لم يحفظ الكتاب أو يكتب الحديث ، ولم يتفقه لا يُقتدى به " [٥]. وهكذا نجد أن الجنيد يشترط في الإنسان أو الصوفي الذي يقتدى به أن يكون عالماً بالحديث والفقه منضبطاً بالكتاب والسنة، ونقل الذهبي قول ابو يزيد البسطامي لاصحابه: " لو نظرتم إلى رجل أعطي من الكرامات حتى يرتفع في الهواء فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهي وحفظ الشريعة [٦]"

المبحث الثالث :اهتمام الصوفية بالعلوم الدينية

وهناك من يزعم أن الصوفية لا يهتمون بالعلوم الدينية ودراستها، القران الكريم وعلومه وعلم الحديث ومصطلحه وعلم الفقه وغيرها ؛ لأنهم يقولون بأن علومهم إلهامية ربانية تأتي عن طريق التقوى مستندين إلى بعض الاقوال التي صدرت عن بعض

---

[١]الذهبي ، سير أعلام ، ١٤ / ٦٢، ٦٣ .

[٢]الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ٢٢ / ١٥٠-١٥١ .

[٣]سورة النور، الآية ٥٤.

[٤]تنظر ترجمته: الاصبهاني ، حلية الأولياء ، ٢٥٥/١٠ ؛

[٥] الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ٢٢ / ١٢٠ .

[٦]الذهبي، العبر ، ٢٩/٢.

الصوفية وليس جميعهم ومنها ما قاله أبو يزيد البسطامي " اخذوا علمهم عن ميت ، وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت " [١]وقال الشبلي " إذا طالبوني بعلم الورق برزت عليهم بعلم الخرق " ونسب إلى بعضهم ذم العلماء ورأى أن الاشتغال بالعلم بطالة، وبعضهم القى كتبه في البحر أو دفنها وغير ذلك [٢].

والحقيقة التي لا جدال فيها أنهم اهتموا بالعلوم الدينية وان الكثير منهم كانوا علماء أفذاذ ذو مكانة علمية ووجاهة اجتماعية مرموقة ومنزلة عظيمة عند الخاص والعام ، ويبدو إن بعضهم قال ذلك؛ لأنهم كانوا يفضلون العبادة وكثرة الذكر وما يأتي من خلالها من لطائف وأنوار ولذة روحية فيفضلون ذلك على الانشغال بكثرة القراءة وطلب العلم ؛لان العلم وسيلة إلى التقرب من الله ومعرفته لا غاية فهم يؤكدون على الغاية لا الوسيلة، فضلا عن خشيتهم من الوقوع في الخطأ والزلل كان يدفعهم إلى ذلك، لذلك فإن الكثير من الصوفية دفن كتبه أو احرقها أو أغرقها في البحر لهذا السبب "رمى أحمد بن أبي الحواري بكتبه في البحر وقال نعم الدليل كنت والاشتغال بالدليل بعد الوصول محال ..طلب أحمد بن أبي الحواري العلم ثلاثين سنة ثم حمل كتبه كلها إلى البحر فغرقها وقال يا علم لم أفعل بك هذا استخفافا ولكن لما اهتديت بك استغنيت عنك "[٣]

فترى قسما منهم ينشغل بالعبادة أكثر من العلم وهذا لا يعني أن الصوفية لا يحبذون العلم ولايشجعون على طلبه، والذي يقرأ تراجمهم عند الذهبي وعند غيره يجد ذلك، اورد الذهبي روايات عن سهل التستري في حب السنة النبوية وطلب الحديث وانه منفعة في الدارين، عن سهل وقيل له : إلى متى يكتب الرجل الحديث قال : حتى يموت ، ويصب باقي حبره على قبره، ثم أستدرك الذهبي على ذلك بقوله" قلت : هكذا كان مشايخ الصوفية في حرصهم على الحديث والسنة ، لا كمشايخ عصرنا الجهلة البطلة

---

[١] القزويني ،عبد الكريم بن محمد الرافعي، التدوين في أخبار قزوين، تحقيق : عزيز الله العطاري: دار الكتب العلمية (بيروت – ١٩٨٧) ٢ /٣٥٨.

[٢] الشرقاوي ، محمد عبد الله ، الصوفية والعقل ، ط١ دار الجيل ، (بيروت : ١٩٩٥)،ص٢٤١ ؛ينظر ابن الجوزي ، تلبيس إبليس ،ص٣١٠-٣١٩ .

[٣] الذهبي ، سير أعلام ، ١٢ / ٨٨.

الأكلة الكسلة "[1]. فمما ذكره الذهبي عن بعضهم على سبيل المثال لا الحصر: الشيخ احمد بن الحسن بن عبد الجبار بن راشد البغدادي الصوفي المحدث الثقة سمع من علي بن الجعد ويحيى بن معين والهيثم بن خارجة وأبي نصر التمار واحمد بن جناب وغيرهم حدث عنه ابو الشيخ بن حيان وابو حاتم بن جناب وابو بكر إسماعيل وأبو احمد بن عدي،وثقة ابو بكر وكان صاحب حديث واتقان"[2].

وقال عن ابن نجيد الشيخ الإمام القدوة المحدث شيخ نيسابور أبو عمر إسماعيل بن نجيد بن الحافظ احمد السلمي النيسابوري الصوفي كبير الطائفة ومسند خراسان [3].، أما شيخ الإسلام الهروي الأنصاري فقد أورد في ترجمته أنه " كان على حظ تام من معرفة العربية والحديث والتواريخ والأنساب . إماماً كاملاً في التفسير حسن السيرة في التصوف غير مشتغل بكسب مكتفياً بما يباسط به المريدين والأتباع من أهل مجلسه في العام مرة أو مرتين على رأس الملأ فيحصل على ألوف من الدنانير واعداد من الثياب والحلي فيأخذها ويفرقها على اللحام والخباز وينفق منها ولا يأخذ من السلاطين ولا من أركان الدولة شيئاً ... " [4]. وهذا يدل على سعة علمه،فضلاً عن زهده وورعه .

والإمام المحدث الصادق الزاهد الجوال أبو سعد احمد بن محمد بن احمد الأنصاري الهروي الماليني الصوفي الملقب بطاووس الفقراء الذي رحل كثيراً في طلب العلم ولقاء المشايخ الى مدينة نيسابور ومدينة بغداد والشام ومصر والحرمين وحصل له

---

[1] تاريخ الإسلام، ١٨٧/٢١.

[2] ، سير أعلام ، ١٤ / ١٥٢؛ ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق : الشيخ علي محمد معوض والشيخ عادل أحمد عبدالموجود،ط١، دار الكتب العلمية(بيروت – ١٩٩٥)٢٢٦/١؛تنظر ترجمته في: الخطيب ، تاريخ بغداد ٨٢/٤١٢ .

[3] الذهبي ، سير أعلام ، ١٦ / ١٤٦؛ تاريخ الإسلام، ٣٣٦/٢٦؛ أبن ماكولا علي بن هبة الله بن أبي نصر، الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى،ط١، دار الكتب العلمية (بيروت – ١٤١١ هـ)١٨٨/١ .

[4] الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، ٣ / ١١٨٩ .

معرفة وفهم جمع وصنف [١].وعطية بن سعيد بن عبد الله الإمام الحافظ القدوة الكبير شيخ الوقت أبو محمد الأندلسي القفصي الصوفي[٢] ،وأبو نعيم الإمام الحافظ الثقة العلامة شيخ الإسلام الاصبهاني الصوفي صاحب كتاب الحلية أجاز له مشايخ الدنيا ورحل الحفاظ إلى بابه لعلمه وحفظه وعلو أسانيده [٣].

والإمام الحافظ الرحال أبو يعقوب يوسف بن احمد الصوفي الشيرازي مفيد مدينة بغداد الذي سمع الكثير من العلماء في الحديث وكان ظريفاً حلو المحاضرة وصنف "الأربعين البلدية" وأجاد فيه وأبان عن حفظ وكان له رحلة واسعة [٤]. ومحمد بن مسعود بن أيوب الإمام الفقيه المحدث الصالح بقية السلف بدر الدين أبو عبد الله الحلبي الشافعي الصوفي ابن التوزي شيخ الصوفية بحمص ورحل في طلب العلم وكتب عن شيوخه من ذلك خرّج اربعين حديثا عن اربعين شيخا، وكان وقوراً حسن السمت [٥]. ومن علماء الصوفية من اهتم بالحديث والفقه وقد نبه إلى ذلك الذهبي ومنهم قاضي القضاة أبو السائب عتبة بن عبيد الله الهمذاني الشافعي الصوفي(ت ٣٥١هـ/٩٦٢م) الذي اهتم بفهم القرآن وكتب الحديث والفقه [٦]. والإمام العلامة ذو الفنون أبو سهل الصعلوكي

---

[١]الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، ٣ / ١٠٧٠ . سير أعلام ، ١٧ / ٣٠١ ؛تاريخ الإسلام، ٢٩٢/٢٨؛ تنظر ترجمته: في ابن عساكر ، تاريخ دمشق، ٥/ ١٩٢؛

[٢]الذهبي ، سير أعلام ، ١٧ / ٤١٢؛ تنظر ترجمته في: الخطيب ، تاريخ بغداد، ٣٢٢/١٢؛ القزوينى، التدوين في أخبار قزوين٣١٦/٢.

[٣]الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، ١٠٩٢/٣ . سير أعلام ، ١٧ / ٤١٢، ٤٥٤ ؛ تاريخ الإسلام، ٢٧٥/٢٩.تنظر ترجمته : أبن خلكان احمد بن محمد، وفيات الأعيان وإنباء أبناء الزمان،تحقيق :إحسان عباس ، دار الثقافة (بيروت– د ت) ٩١/١ .

[٤]الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، ٤ / ١٣٥٧ ؛ المختصر المحتاج،٣٨٠/١٥؛ السخاوي، محمد بن عبد الرحمن،البلدانيات، ، تحقيق : حسام بن محمد القطان،ط١، دار العطاء (السعودية – ٢٠٠١م)٣٤/١.

[٥]الذهبي ،محمد بن أحمد بن عثمان، المعجم المختص بالمحدثين، تحقيق : د. محمد الحبيب الهيلة،ط١، مكتبة الصديق (الطائف – ١٤٠٨هـ)، ١ / ٢٦٣ –٢٦٤ .

[٦]سير أعلام ، ١٦ / ٤٧ ؛تنظر ترجمته في: السبكي، طبقات الشافعية،٢١٨/٣.

محمد بن سليمان بن محمد الحنفي النيسابوري الفقيه الشافعي المتكلم النحوي المفسر اللغوي الصوفي شيخ خراسان(٣٦٩هـ/٩٧٩م) [١] وعلي بن منصور الهلالي المغربي الصوفي الفقيه النحوي البارع [٢] وعيسى بن يحيى بن احمد بن مسعود الإمام الفقيه السبتي الشافعي (ت٦٩٦هـ/١٢٩٦م)وغير هؤلاء كثير [٣] .

المبحث الرابع : مدح الذهبي للصوفية :

وقد مدح الذهبي الكثير من الصوفية وأثنى عليهم ووصفهم بالسادة مثل السري السقطي(ت٢٥١هـ/٨٦٥م) [٤] وأقرانه بقوله: " قلت كان زاهد الوقت هذا الجوعي بدمشق والسري السقطي ببغداد واحمد بن حرب بنيسابور وذو النون بمصر ومحمد بن اسلم بطوس واين مثل هؤلاء السادة ما يملأ عيني إلا التراب أو من تحت التراب " [٥].

ويدافع الذهبي عن الشيخ احمد بن أبي الحواري الصوفي حيث ذكر أن قوم شهدوا عليه انه يفضل الأولياء على الأنبياء فهرب من دمشق إلى مكة وجاور حتى كتب إليه السلطان أن يرجع فرجع فقال: " إن صحت الحكاية فهذا من كذبهم على احمد هو كان

---

[١]الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ١٦ / ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، السبكي، طبقات الشافعية،٤٣/٣؛ بن قاضي شهبة، أبو بكر بن أحمد، طبقات الشافعية ، تحقيق: د. الحافظ عبد العليم خان،ط١، عالم الكتب(بيروت – ١٤٠٧) ١٥٠/١.

[٢]الذهبي ، المعجم المختص بالمحدثين ، ١ / ١٧٨ .

[٣]الذهبي ، معجم المحدثين ، ١ / ١٩٠ ؛ المعين في طبقات المحدثين،٢٢٢/١؛ بن تغري بردى أبي المحاسن يوسف، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي (مصر– د ت) ١١١/٨.

[٤]تنظر ترجمته: أبن حِبّان محمد بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي ،الثقات ، تحقيق : السيد شرف الدين أحمد،ط١، دار الفكر (د م –١٩٧٥) ٨/ ٣٠١ ؛ الاصبهاني ، حلية الأولياء، ١١٦/١٠؛ السيد جاسم،عزيز ،متصوفة بغداد،ط١،من اصدارات مشروع بغداد عاصمة الثقافة العربية(بغداد–٢٠١٢)ص١٣٣ .

[٥] سير أعلام ، ١٢ / ٧٩.

اعلم بالله من ان يقول ذلك " [١] . وكذلك يدافع عن أبي يزيد البسطامي بعد أن روى احد أقواله وحكمه وهي: " لله خلق كثير يمشون على الماء لا قيمة لهم عند الله ولو نظرتم إلى من أعطى من الكرامات حتى يطير فلا تغتروا به حتى تروا كيف هو عند الأمر والنهي وحفظ حدود الشرع " [٢]

فيعلق على ذلك " وله هكذا نكت حليمة وجاء عنه أشياء مشكلة لا مساغ لها الشأن في ثبوتها عنه أو انه قالها في حال الدهشة[٣]والسكر والغيبة والمحو[٤]فيطوي ولا يحتج بها إذ ظاهرها الحاد مثل سبحاني وما في الجبة إلا الله ما النار لاستندن اليها غدا وأقول اجعلني فداء لأهلها وإلا بلعتها ما الجنة لعبة صبيان ومراد اهل الدنيا وما المحدثون إن خاطبهم رجل عن رجل فقد خاطبنا القلب عن الرب.. " [٥]وقال متعجباً لا تصح عن مسلم فكيف بمثل ابي يزيد البسطامي [٦]

وقال عن بنان الحمال " كان كبير القدر لا يقبل من الدولة شيئاً وله جلالة عجيبة عند الخاص والعام " [٧] ويقول الذهبي " والعالم إذا عري من التصوف والتأله فهو فارغ كما ان الصوفي اذا عري عن علم السنة زل عن سواء السبيل وقد كان ابن الاعرابي من علماء الصوفية فتراه لا يقبل شيئاً من اصطلاحات القوم إلا بحجة " [٨].

وقال عن أبي الحسين محمد بن الحسين بن الترجمان العزي" الإمام الصالح شيخ الصوفية "وكان شيخ المشايخ بمصر وتوفي سنة (ت ٤٤٨ هـ/ ١٠٥٥م)وقبره عند

---

[١] سير أعلام ، ١٢ / ٩٣ .

[٢] سير أعلام ، ١٣ / ٨٨ .

[٣]الدهشة : سطوة تصدم القلب من هيبة محبوبه ،إذا لقيه عند الاياس لم يجد لها عاهة إذا انقضت، ينظر: الحفني، معجم المصطلحات،ص٩٨.

[٤]محو : رفع أوصاف العادة بحيث يغيب العبد عندها عن عقله ويحصل منه أفعال وأقوال لا مدخل لعقله فيها كالسكر من الخكر . ينظر: الحفني، معجم المصطلحات ص٢٣٩ .

[٥] الذهبي ، سير أعلام ، ١٣ / ٨٨ .

[٦]الذهبي، تاريخ الإسلام ،٢٠/ ١١٢.

[٧] الذهبي ، سير أعلام ، ١٤ / ٤٨٨ .

[٨] سير أعلام ، ١٤ / ٤١٠ .

الصوفي ذو النون المصري رحمهما الله [١]وعلي بن خلف بن غالب الأنصاري الشلبي نزيل قرطبة الإمام القدوة العارف أبو الحسن شيخ الصوفية وكان مبرزاً في التصوف وخيراً رحيماً متعبداً [٢] .

ويوسف بن المظفر بن شجاع العاقولي البغدادي(ت٦٢٤هـ/١٢٢٦م) تلميذ الشيخ عبد القادر ومريده كان:" له كلا حسن في التصوف والحقيقة كان صالحاً زاهداً عابداً يتبرك به ، وهو آخر من لبس الخرقة[٣]من الشيخ " [٤]. أما محمد بن أبي العلا محمد بن علي ابو عبد الله الانصاري الرباني قال عنه الصوفي شيخنا الامام العالم شيخ القراء استوطن في بعلبك واصبح شيخها في التصوف والقراءات وقلّ من رأيتُ بفصاحته وتعلمتُ منه التجويد وكان اماماً فاضلاً له مع معرفة بالقراءات جيدة وكان شيخ الإقراء بالجامع وشيخ الصوفية بالخانكاه وله حرمة وصورة [٥]. ويحيى ابن معاذ الرازي أبو زكريا الصوفي العالم المشهور صاحب المواعظ وكان حكيم أهل زمانه رحمه الله وينقل العديد من أقواله ومواعظه [٦].

وعلي بن محمود بن حميد العلامة البارع علاء الدين القونوي الصوفي الحنفي المدرس اثنى عليه بالعلم والزهد وخرّج له _ الذهبي_ معجم شيوخه،[٧] وقال عن نافع بن

---

[١]الذهبي ، سير أعلام ، ١٨ / ٥٠-٥١ .

[٢]الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ٣٩/ ٢٢٩ .

[٣]الخرقة : لبس الخرقة ارتباط بين الشيخ وبين المريد . وتحكيم من المريد للشيخ في نفسه ، وفيها معنى المبايعة وهي عتبة الدخول في الصحبة .ينظر: الحفني ، معجم مصطلحات الصوفية، ص٨٩ .

[٤]الذهبي ، ، تاريخ الإسلام ، ٤٥/ ٢١٤ .

[٥]الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ٥٢ / ٢٩٩؛ تنظر ترجمته: بن حجر أحمد بن علي العسقلاني، تبصير المنتبه بتحرير المشتبه، تحقيق : علي محمد البجاوي ، محمد علي النجار، المكتبة العلمية (بيروت – د ت)٦٢٢/٢.

[٦]الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ١٩ / ٣٧٣ ؛تنظر ترجمته، الاصبهاني ، حلية الأولياء، ٥١/١٠؛الخطيب ، تاريخ بغداد،٢١٠/١٤.

[٧]معجم المحدثين ، ١ / ١٧٦ ؛ معجم الذهبي ،١٢٢/١.

عبد الله ابو عاصم الهندي الصوفي قال شيخ صالح عابد خير قدم ومعه فوائد بخطه منها "الاربعون" التي أخرجها مولاه الامام القدوة سيف الدين الباخرزي حج مرات[١]. وعبد الهادي بن محمد بن عبد الله أبو عروبة السجستاني الزاهد شيخ الصوفية وامام سجستان كان ملاذاً للأهل الحديث وكان صلب الدين يرُدُ على المبتدعين وكان من الذاكرين الله كثيراً وله مناقب عديدة وله رباط كان ينفق عليه من ماله الخاص [٢].

وفي مقامات الصوفية ومكانتهم؛ للذهبي العديد من الروايات إذ إن للصوفية في سلوكهم إلى الله عز وجل درجات ومقامات تعارفوا عليها وسطروها في كتبهم ومؤلفاتهم وكتب التراث الصوفي مليئة بالحديث عن هذه المقامات والدرجات التي يسلكها الصوفي من اجل الوصول إلى مكانه رفيعة عند الله عز وجل تقرباً منه وطاعة له .وقد تحدث الذهبي عن بعض هذه المقامات عند حديثه عن بعض الصوفية في تراجمهم وسير حياتهم .

ومن هؤلاء الذين ذكرهم الشيخ القدوة الزاهد الكبير أبو الحسن علي بن حميد الصعيدي فقد ذكر عنه انه انتفع به خلق وكان حسن التربية للمريدين وله أحوال ومقامات وتأله [٣]. وعن الشيخ عبد الوهاب بن علي بن سكينة شيخ العراق في التصوف والفقه والحديث ينقل ما قاله عنه الإمام أبو شامة بأنه كان من الابدال [٤] وحمدون القصار شيخ الصوفية في نيسابور ذكر هو الآخر انه كان من الأبدال [٥] وذكر أبو سليمان الداراني العنسى فقال كان" أحد الأبدال وكان عديم النظير زهداً وصلاحاً وله كلام رفيع في التصوف والمواعظ "، [٦]

---

[١]الذهبي ، معجم المحدثين ، ١ / ٢٨٧ ؛ معجم الذهبي ،١٩٢/١.

[٢]الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ٣٩ / ١٢٥ .

[٣]الذهبي ، سير أعلام ، ٢٢ / ٥٨ ؛تاريخ الإسلام ، ١١٧/٤٤.

[٤]الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ٢٥٦/٤٣؛ سير أعلام ، ٢١ / ٥٠٥.

[٥]الذهبي ، سير أعلام ، ١٣ / ٥١ .

[٦]الذهبي، العبر ، ٣٤٧/١.

وفتح بن سعيد الموصلي أبو نصر الزاهد ، واحد سادات مشايخ الصوفية له أحوال ومقامات [١] . وعبد الوهاب بن عبد الرحمن بن محمد أبو عمرو النيسابوري كان " شيخ كبير نبيل من كبار شيوخ الصوفية العارفين بلغة القوم ورموزهم في الحقائق " [٢]. ونلاحظ أن الذهبي هنا يذكر رموز الصوفية ولغتهم التي تعبر عن حقائق التصوف ولا ينكرها وهو الناقد الحصيف ويقول عن الإمام أبو الحسن محمد بن اسلم الكندي انه" احد الابدال والحفاظ" [٣] وروى في ترجمة زكريا بن يحيى الزاهد الكبير الكردي الهروي انه من كبار مشايخهم وورعيهم ويذكران احمد بن حنبل كان يعده من الابدال وينقل قول السلمي انه كان مجاب الدعوة وان الملائكة تسلم عليه [٤] ومرة ثانية نجد الذهبي لا يرد على قول السلمي مما يعني انه يتفق معه ويؤيده لان الذهبي لا يتردد عن إنكار ما يخالف عقيدته .

وروى عن عصمة بن ابراهيم ابو صالح النيسابوري ما قاله الحاكم النيسابوري انه كان من الابدال [٥] وعن البرهان الموصلي الزاهد قال انه كان: " كبير الادراك ، صاحب كشف وحال "[٦] واما علي بن ابي القاسم احمد بن بدر الشيخ القدوة الزاهد ولي الدين ابو الحسن الجزري الشافعي وكان:" صادق في طريقته مخلص رباني مكاشف صاحب احوال ومقامات وللناس فيه عقيدة صالحة " [٧] كما أشار الذهبي إلى غيرهم ايضا .وأبو الفتح محمود بن احمد بن علي بن احمد الجعفري العراقي الصوفي المعروف بابن الصابوني وبعد أن سمع الحديث ورحل من اجله صار شيخاً للصوفية برباط الخاتوني وبجامع الفيلة وكان كيسَّاً متواضعاً ثقة فاضلاً [٨]. والملاحظ هنا إن الذهبي يشير إلى الرباط الذي كان

---

[١] الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ١٥ / ٣٣٨ ،الاصبهاني ، حلية الأولياء، ٢٩٢/٨.

[٢] الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ٣١ / ٤١٣ .

[٣] الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ١٨ / ٤٠٩ ، العبر ، ٤٣٨/١.

[٤] الذهبي ، تاريخ الإسلام، ١٩ / ١٤٢ .

[٥] الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ٢٠ / ٣٩٩ .

[٦] الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ٤٨ / ٧٧ .

[٧] الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ٥٠ / ٣٥٧ .

[٨] الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ٢٣ / ٨٣ ؛ سير أعلام ، ٨٣/٢٣.

للشيخ ولا ينكر هذه الربط فهناك بعض الذين تطرفوا ووصفوها بأوصاف سيئة كثيرة مما يدل على ان الذهبي لا ينكر المؤسسات التي أقامها الصوفية .

وبشير بن حامد بن سليمان العلامة ذو النون نجم الدين أبو النعمان الهاشمي الجعفري الشافعي التبريزي الصوفي صاحب التفسير الكبير كان من أئمة المذهب ، وكان قد حفظ المذهب والأصول والخلاف وأفتى وناظر وأعاد بالنظامية ثم ولي نظر الحرم وعمارته وتوفي بمكة [١]. وروي عن أبي عبد الله سعيد بن بريد الصوفي النباجي القدوة العابد الرباني وان له كلام شريف ومواعظ وان له كرامات وهو مجاب الدعوة [٢].

ويبين الذهبي موقفه من بشر الحافي الصوفي على اثر ذكر احد العلماء أن سوطاً ضرب به احمد بن حنبل يساوي أيام وحياة بشر الحافي فقال : " الإيمان يعلمه الله وبشر كبير القدر كأحمد " وقال ايضاً " بشر عظيم القدر كأحمد ولا ندري وزن الأعمال إنما الله يعلم ذلك " [٣].

وفي ترجمة أبو تراب عسكر بن الحصين النخشبي يذكر انه الإمام القدوة شيخ الطائفة [٤] وترجم لأبي الحسين النوري وقال بانه شيخ الطائفة بالعراق وأحذقهم بلطائف الحقائق وله عبارات دقيقة يتعلق بها من انحرف من الصوفية ثم أشار إلى المحنة التي عانى منها الصوفية والتي كان لأبي الحسين النوري موقفا منها عندما اتهموا الصوفية بالزندقة وتعرف هذه المحنة بمحنة غلام الخليل فقد روى عن ابي نعيم الأصفهاني عن محنة غلام الخليل إذ قال " نسبوا الصوفية الى الزندقة فأمر الخليفة المعتمد في سنة أربعة وستين ومئتين بالقبض عليهم فأخذ في جملتهم النوري فادخلوا على الخليفة فأمر بضرب أعناقهم فبادر النوري إلى السياف فقيل له في ذلك فقال آثرت حياتهم على نفسي

---

[١] الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ٢٣ / ٢٥٥ ،المختصر المحتاج، ١٥٠/١٥.

[٢] الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ٩ / ٢٢٤ ؛ سير أعلام ، ٥٨٦/٩.

[٣] الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ١١ / ٢٠١ ؛.

[٤] الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ١١ / ٥٤٥ ؛سير أعلام ، ٥٤٥/١١ ؛وينظر:عبدالله بن محمد بن جعفر بن حيان ،طبقات المحدثين بأصبهان والواردين عليها ، تحقيق : عبدالغفور عبدالحق حسين البلوشي،ط٢، مؤسسة الرسالة(بيروت – ١٩٩٢) ١٧٧/٤.

ساعة فتوقف السياف عن قتله ورفع أمره إلى الخليفة فرد الخليفة أمرهم إلى قاضي القضاة إسماعيل بن اسحق فسأل أبا الحسين النوري عن مسائل في العبادات فأجاب ثم قال وبعد هذا فلله عباد ينطقون بالله ويأكلون بالله ويسمعون بالله فبكي إسماعيل القاضي وقال إن كان هؤلاء القوم زنادقة فليس في الأرض موحد فأطلقوهم " [١].

وهذه الرواية في غاية الأهمية إذ يبدو أن الخليفة المعتمد قد سمع عن هؤلاء الصوفية انهم زنادقة ثم عندما أحالهم إلى السيّاف ثم أحالهم السيّاف إلى قاضي القضاة تبين له إنهم على درجة رفيعة من الإيمان ومن المفيد أن نتأمل في هذه القصة أو المحنة خاصة أولئك الذين يتهمون الصوفية بأوصاف شتى لا تنطق عليهم حتى وان كان ثمة أخطاء هنا وهناك .ويتابع الذهبي أقواله ومنها قوله عن الإمام الغزالي: " الشيخ الإمام البحر حجة الإسلام أعجوبة الزمان زين الدين أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن احمد الطوسي الشافعي الغزالي(ت٥٠٥هـ/١١١١م) صاحب التصانيف والذكاء المفرط مع انه أشار عدة مرات إلى أخطاء وقع منها إلا انه يبرر ذلك بان كل العلماء لديهم أخطاء "وما زال العلماء يختلفون كل حسب اجتهاده وكل منهم معذور مأجور" [٢] وقال عن الشيخ عبد القادر الكيلاني(ت٥٦١هـ/١١٦٦م) : " الشيخ الإمام العالم الزاهد العارف القدوة شيخ الإسلام علم الأولياء محيي الدين أبو محمد عبد القادر بن أبي صالح ... الجيلي " [٣] وروى ما ذكره . صاحب كتاب "مرآة الزمان" عن الشيخ قوله:" كان سكوت الشيخ عبد القادر أكثر من كلامه وكان يتكلم على الخواطر وظهر له حديث عظيم وقبول تام وما كان يخرج من مدرسته إلا يوم الجمعة أو إلى الرباط وتاب على يده معظم أهل بغداد واسلم خلق وكان يصدع بالحق على المنبر " [٤]. وقال عن سهل بن عبد الله التستري " شيخ العارفين " وقال له كلمات نافعة ومواعظ حسنة وقدم راسخ في الطريق "

---

[١] الذهبي ، سير اعلام ، ١٤ / ٧١ .

[٢]الذهبي ، سير أعلام ، ١٩ / ٣٢٣-٣٢٧ .

[٣]الذهبي ، سير أعلام ، ٢٠ / ٤٣٩ ؛تاريخ الإسلام،٣٩/ ٨٧.

[٤]الذهبي ، سير أعلام ، ٢٠ / ٤٤٩ ؛تاريخ الإسلام،٣٩/ ٩٩ .

[١] . وقال في ترجمة السهروردي أبو النجيب الشيخ الإمام العالم المفتي المتفنن الزاهد العابد القدوة شيخ المشايخ أبو النجيب عبد القاهر بن عبد الله بن محمد بن عمومة [٢].

وفي ترجمة عمر بن محمد بن عبد الله الشيخ شهاب الدين ابو حفص القرشي الصوفي السهروردي(ت٦٣٢هـ/١٢٣٤م) الزاهد العارف شيخ العراق رضي الله عنه روى عن ابن النجار ما قاله في الشيخ شهاب الدين المذكور فقال : " كان شيخ وقته في علم الحقيقة وانتهت إليه الرئاسة في تربية المريدين ودعاء الخلق إلى الله طريق العبادة والزهد ، صحب عمه . وسلك طريق الرياضيات والمجاهدات وقرأ الفقه والخلاف والعربية وسمع الحديث ثم انقطع ولازم الخلوة وداوم الصوم والذكر والعبادة إلا أن خطر له عند علو سنه أن يظهر للناس ويتكلم عليهم فعقد مجلس الوعظ بمدرسة عمه على دجلة فكان يتكلم بكلام مفيد من غير تزويق ولا تنميق . وحضر عنده خلق عظيم وظهر له قبول عظيم من الخاص والعام ، واشتهر اسمه وقصد من الاقطار وظهرت بركات انفاسه على خلق من العصاة فتابوا ، ووصل به خلق الى الله ، وصار له اصحاب كالنجوم . ونفذ رسولاً الى الشام مرات والى السلطان خوارزم شاه ورأى من الجاه والحرمة عند الملوك مالم يره احد ، ثم رتب شيخاً بالرباط الناصري وبرباط البسطامي ورباط المأمونية ، ثم انه اضر في آخر عمره واقعد . ومع هذا فما اخل بالاوراد ودوام الذكر وحضور الجمع في محفة ، والمضي الى الحج ، الى ان دخل في عشر المائة ، وضعف فانقطع في منزله "ثم قال " وكان تام المروءة كبير النفس ليس للمال عنده قدر لقد حصل له الوف كثيرة ، فلم يدخر شيئاً ومات ولم يخلف كفنا . وكان مليح الخلق والخلق . متواضعاً كامل الأوصاف الجميلة قرأت عليه كثيراً وصحبته مدة وكان صدوقاً نبيلاً ، صنف في التصوف كتاباً شرح فيه أحوال القوم وحدث به مراراً ... " [٣].

---

[١]الذهبي ، سير أعلام ، ١٣ / ٣٣٠ ؛ تاريخ الإسلام، ١٨٧/٢١؛ العبر ، ٧٦/٢.

[٢]الذهبي ، سير أعلام ، ٢٠ / ٤٧٥ ؛تاريخ الإسلام،١٦٤/٣٩؛ المختصر المحتاج ، ٢٨٤/١٥.

[٣]الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ٤٦ / ١١٣ –١١٤ .

أما الشيخ احمد الرفاعي(ت٥٧٨هـ/١١٨٢م) فيذكر عنه انه سلطان العارفين في زمانه الزاهد الكبير احمد بن ابي الحسن بن علي بن يحيى الرفاعي المغربي رضي الله عنه [١]. كما نقل رواية ابن خلكان يقوله " كان رجلاً صالحاً شافعياً ، فقيهاً انضم إليه خلق من الفقراء وأحسنوا فيه الاعتقاد ، وهم الطائفة الرفاعية ويقال لهم الاحمدية ويقال لهم البطائحية ولهم أحوال عجيبة من اكل الحيات حية والنزول إلى التنانير وهي تضرم ناراً والدخول الى الأفرنة وينام الواحد منهم في جانب الفرن والخباز يخبز في الجانب الآخر ، وتوقد لهم النار العظيمة ، ويقام السماع فيرقصون عليها إلى أن تنطفيء ويقال إنهم في بلادهم يركبون الأسود ونحو ذلك وأشباهه ولهم أوقات معلومة يجتمع عندهم من الفقراء عالم لا يحصون ويقومون بكفاية الجميع " [٢]. والملاحظ ان الذهبي ينقل هذه الرواية ولا يعلق عليها ولا يستنكرها كما هو في منهجه ينتقد كل ما لا يراه صحيحاً .

كما ذكر شيخ الصوفية الشهير الجنيد بن محمد بن الجنيد النهاوندي[٣]ثم البغدادي فقد اشار الى انه شيخ الصوفية وسمع العلم وأتقنه ثم عكف على التأله والتعبد ونطق بالحكمة ثم روى ما قاله ابي القاسم الكعبي انه قال : " رأيت لكم شيخ ببغداد يقال له الجنيد ما رأت عيناي مثله كان الكتبة يعني البلغاء يحضرونه لألفاظه والفلاسفة يحضرونه لدقة معانيه والمتكلمون يحضرونه لزمام علمه وكلامه بائن عن فهمهم وعلمهم " [٤] كما روى عن أبي محمد الجريري قوله:" سمعت الجنيد يقول ما اخذنا التصوف عن القال والقيل بل عن الجوع وترك الدنيا وقطع المألوفات "[٥] ويعلق على ذلك بقوله:" قلت هذا حسن ومراده قطع أكثر المألوفات وترك فضول الدنيا وجوع بلا إفراط أما من بالغ في

---

[١] الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ٤٠ / ٢٤٨ ؛ سير أعلام، ٣٧٥/٢٢.

[٢] ابن خلكان ، وفيات الأعيان،١٧١/١؛الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ٤٠ / ٢٥٥؛ سير أعلام، ٧٧/٢١.

[٣] تنظر ترجمته :الخطيب ، تاريخ بغداد،٢٤١/٧؛ إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد بن مفلح، المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد ، تحقيق : د عبد الرحمن بن سليمان العثيمين ،ط١، مكتبة الرشد (الرياض – ١٩٩٠)، ٣٠٤/١ ؛

[٤] الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ١٤ / ٦٦، ٦٧ .

[٥] الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ٢٢ / ١٢١ ؛سير أعلام ، ١٤/ ٦٩.

الجوع كما يفعله الرهبان ورفض الدنيا فقد عرض نفسه لبلاء عريض ... فرحمة الله على الجنيد وأين مثل الجنيد في علمه وحاله " [١] كما قال عنه:هو" شيخ العارفين وقدوة السائرين وعلم الأولياء في زمانه رحمه الله تعالى " [٢] وقال عن أبو يزيد البسطامي " سلطان العارفين " [٣].

المبحث الخامس : آراء الذهبي وتقييمه لبعض شيوخ الصوفية ومؤلفاتهم

نجد الذهبي يتحدث عن مشاهير وأعلام الصوفية ويذكر حسناتهم وسيئاتهم وكذلك يبين الايجابيات والسلبيات في مؤلفاتهم إلا أن كلامه بشكل عام فيه ثناء وتقدير لهؤلاء العلماء الصوفية على الرغم من الأخطاء التي وقعوا بها وممن تحدث عنه وترجم له : ابن العربي فيقول عنه :انه صاحب التواليف العلامة محيي الدين أبو بكر محمد بن علي بن محمد الطائي الحاتمي المرسي فقد روى عنه روايات وذكر أن الشيخ عز الدين بن عبد السلام وابن تيمية ذكرا انه شيخ سوء وكذاب ثم ذكر أن له كلام قد يفسره البعض بأنه كفر إلا ان يكون قد رجع عنه إلى الإسلام ثم انه يعود ويقول: " ولأبن العربي توسع في الكلام وذكاء وقوة حافظة وتدقيق في التصوف وتواليف جمة في العرفان ولولا شطحات في كلامه وشعره لكان كلمة إجماع ولعل ذلك وقع منه في حال سكره وغيبته فنرجو له الخير " [٤] ،وأثنى الذهبي على همته العالية في العلم والمعرفة وذكاءه الشديد "وكان ذكيا كثير العلم كتب الإنشاء لبعض الأمراء بالمغرب ثم تزهد وتفرد وتعبد وتوحد وسافر وتجرد وأتهم وأنجد وعمل الخلوات"[٥] وفيما يتعلق بكتبه فأنه يجد لبعض مقالته في كتبه تأويلا إلا انه يرى في كتابه "الفصوص" انه كفر ولايقبل له تاويلا فقال: "وعلق شيئا كثيرا في تصوف أهل الوحدة ومن أردأ تواليفه كتاب الفصوص فإن كان لا كفر فيه فما في الدنيا كفر نسأل الله العفو والنجاة فواغوثاه بالله، وقد عظمه جماعة وتكلفوا لما صدر

---

[١] الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ١٤ / ٧٠ .

[٢] الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ٢٢ / ١١٨ .

[٣] الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ١٣ / ٨٦ .

[٤] الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ٤٦ / ٣٧٩-٣٨١ .

[٥] الذهبي،سير أعلام، ٤٨/٢٣.

منه ببعيد الاحتمالات وقد حكى العلامة ابن دقيق العيد شيخنا أنه سمع الشيخ عز الدين بن عبد السلام يقول عن ابن العربي شيخ سوء كذاب يقول بقدم العالم ولا يحرم فرجا ، ثم عقّب الذهبي عليه بقوله " قلت إن كان محيي الدين رجع عن مقالاته تلك قبل الموت فقد فاز وما ذلك على الله بعزيز ،وقد أوردت عنه في التاريخ الكبير وله شعر رائق وعلم واسع وذهن وقاد ولا ريب أن كثيرا من عباراته له تأويل إلا كتاب الفصوص"[١]. ومهما يكن يبقى ابن عربي من الشخصيات المختلف عليها فقد عده قسماً من العلماء احد كبار العارفين في حين طعن البعض الآخر فيه وفي عقيدته وما ذلك إلا لأن في كلامه الكثير من الكلام الذي يحتمل وجوه متعددة .

وترجم لأبي عبد الله الأنصاري الهروي إذ قال الإمام القدوة الحافظ الكبير أبو إسماعيل عبد الله بن محمد بن علي بن محمدالأنصاري الهروي وشيخ خراسان [٢] وتحدث عن كتابه "منازل السائرين" وهو كتاب في التصوف إذ قال :" قد انتفع به خلق وجهل آخرون فإن طائفة من صوفية الفلسفة والاتحاد[٣]يخضعون لكلامه في "منازل السائرين" وينتحلونه ويزعمون انه موافقهم، كلا بل هو رجل اثري نهج بإثبات نصوص الصفات منافر للكلام واهله وفي منازله إشارات إلى المحو والفناء[٤]وإنما مراده بذلك الفناء هو الغيبة عن شهود السوى ولم يرد محو السوى في الخارج ويا ليته لا صنف ذلك فما أحلى تصوف الصحابة والتابعين ما خاضوا في هذه الخطرات والوساوس بل عبدوا الله وذلوا له وتوكلوا عليه وهم من خشيته مشفقون ولأعدائه مجاهدون وفي طاعة مسارعون

---

[١]الذهبي،سير أعلام، ٤٨/٢٣.

[٢]الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ١٨ / ٤٤٠٩ .

[٣]أتحاد : تصيير ذاتين واحدة . وقيل هو شهود جواد واحد مطلق من حيث أن جميع الأشياء موجودة بوجود ذلك الواحد معدومة في نفسها لا من حيث أن لما سوى الله تعالى وجوداً خاصاً به يصير متحداً بالحق تعالى عن ذلك علواً كبيراً . ينظر: الحفني، معجم المصطلحات،ص٩-١٠ .

[٤]الفناء هو تبديل الصفات البشرية بالصفات الالهية دون الذات، فكلما ارتفعت صفة قامت صفة الهية مقامها، فيكون الحق سبحانه سمعه وبصره كما نطة به الحديث.ينظر: الحفني، معجم المصطلحات،ص٢٠٧ .

وعن اللغو معرضون والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم" [١]. وذكره في كتابه "تذكرة الحفاظ" ايضاً انه تخرج به خلق كثير وفسر القرآن مدة وفضائله كثيرة ورأيت أهل الاتحاد يعظمون كلامه في "منازل السائرين" ويدعون انه موافقهم ذائق لوجدهم[٢]ورامز لتصوفهم الفلسفي أنى يكون ذلك وهو من دعاة السنة وعصبة آثار السلف ولا ريب ان في "منازل السائرين" أشياء من محط المحو والفناء وإنما مراده بذلك الفناء الغيبة عن شهود السوى ولم يرد عدم السوى في الخارج وفي الجملة هذا الكتاب لون آخر غير الانموذج الذي اصفق عليه صوفية التابعين ودرج عليه نساك المحدثين والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم وله قصيدة في السنة سمعناها غالبها جيد وله مجلد في مناقب الإمام أحمد بن حنبل... " [٣] ويترجم له في تاريخ الاسلام بان كتابه "منازل السائرين من الكتب الأساسية المعتمدة عند الصوفية في زمانه وهو كتاب نفيس في التصّوف وان فلاسفة الصوفية من اهل الاتحاد تعظّم هذا الكتاب وتزعم أنّه على تصوفهم الفلسفيّ ، وان ابن تيمية بعد تعظيمه للهروي يحطّ عليه ويرميه بالعظائم بسبب كتابه هذا "[٤]ونقل الذهبي بأنه من سلاطين العلماء[٥].

أما عن عبد الرحمن السلمي صاحب كتاب "طبقات الصوفية" فإن له كتب أخرى مثل "حقائق التفسير" ، وكتاب "سؤالات الدارقطني" في الحديث ، وقد وصفه بعض المحدثين بإنه كان غير ثقة ويضع الأحاديث للصوفية ويعقب الذهبي على ذلك " وللسلمي سؤالات للدارقطني عن أحوال المشايخ الرواة سؤال عارف وفي الجملة ففي تصانيفه أحاديث وحكايات موضوعة وفي "حقائق التفسير" أشياء لا تسوغ اصلاً عدّها بعض الائمة من زندقة الباطنية وعدّها بعضهم عرفاناً نعوذ بالله من الضلال ومن كلام

---

[١] الذهبي ، سير أعلام ، ١٨ / ٥١٠ .

[٢] الوجد: هو خشوع الروح عند مطالعة سر الحق، وقيل عجز الروح من احتمال غلبة الشوق عند وجود حلاوة الذكر، ينظر : الحفني ، معجم مصطلحات الصوفية،ص٢٦٤.

[٣] الذهبي، ٣ / ١١٨٥ .

[٤] الذهبي ، ٣٣/٥٥.

[٥] الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، ٣ / ١١٨٥.

بهوى فإن الخير كل الخير في متابعة السنة والتمسك بهدي الصحابة والتابعين رضي الله عنهم أجمعين" [١].كما أحال القارىء إلى كتاب حقائق التفسير ليتاكد من تخبط السلمي وتحريفه وتمنى انه لم يصنف ذاك الكتاب [٢] لأنه أتى فيه بمصائب وتأويلات الباطنية. [٣] محمد بن علي بن الحسين بن بشر الزاهد المحدث أبو عبد الله الحكيم الترمذي المؤذن المؤذن ، صاحب التصانيف في التصوف والطريق ونقل الذهبي وقيل إنه هجر بمدينة ترمذ في آخر عمره ، بسبب تصنيفه كتاب ختم الولاية وعلل الشريعة .ودافع السلمي عن _الحكيم الترمذي_ وقال ليس في كتابه فيه ما يوجب ذلك،لأنهم لم يفهموا معانيه.[٤] ثم عقّب بقوله: " فما أدري ما أقول ، أسأل الله السلامة من شطحات الصوفية ، وأعوذ بالله من كفريات صوفية الفلاسفة الذين تستروا في الظاهر بالإسلام ، ويعملوا على هدمه في الباطن . وربطوا العوالم بربط ورموز الصوفية وإشارتهم المتشابهة ، وعباراتهم العذبة ، وسيرهم الغريب ، وأسلوبهم العجيب ، وأذواقهم الجلفة التي تجر إلى الإنسلاخ والفناء ، والمحو والوحدة ، وغير ذلك .. والحكيم الترمذي ، فحاشى الله ما هو من هذا النمط ، فإنه إمام في الحديث ، صحيح المتابعة للإشارة ، حلو العبارة ، عليه مؤاخذات قليلة كغيره من الكبار.وكل أحد يأخذ قوله ويترك،إلا ذاك الصادق المعصوم رسول الله (صلى الله عليه وسلم)..."[٥]

أما الغزالي فقد روى الذهبي أن أبا نصر احمد بن محمد الطوسي كان يحلف بالله عز وجل انه ابصر في نومه كأنه ينظر في كتب الغزالي فاذا هي كلها تصاوير ويعلق الذهبي على ذلك بقوله " قلت الغزالي امام كبير وما من شرط العالم انه لا يخطيء " [٦] . كما روى كلام محمد بن الوليد الطرطوسي في أبي حامد الغزالي وكتابه الإحياء في

---

[١]الذهبي ، سير أعلام ، ١٧ / ٢٥٢ .

[٢]الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ٢٨ /٣٠٧.

[٣]الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، ٣ /٩٦٣.

[٤]الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ٢١ /٢٧٨.

[٥]الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ٢١ /٢٧٨.

[٦]سير أعلام النبلاء ، ١٩ / ٣٣٩ .

رسالة الى ابن المظفر فقال اتهم الغزالي بأنه ترك العلوم وتصوف وذم الفقهاء وان كتابه الإحياء مليىء بالأحاديث الموضوعة ويعقب الذهبي على ذلك:" أما الإحياء ففيه من الأحاديث الباطلة جملة وفيه خير كثير لولا ما فيه من آداب ورسوم وزهد من طرائق الحكماء ومنحرفي الصوفية نسأل الله علماً نافعاً تدري ما العلم النافع هو ما نزل به القرآن وفسره الرسول صلى الله عليه وسلم قولاً وفعلاً ... " [١] . كما أورد رأي ابن الجوزي إذ قال صنف أبو حامد الإحياء وملأه بالاحاديث الباطلة ولم يعلم بطلانها وتكلم على الكشف وخرج عن قانون الفقه وقال عن المراد بالكوكب والقمر والشمس اللوآتي راهن ابراهيم أنوار هي حجب الله عز وجل ولم يرد هذه المعروفات وهذا من جنس كلام الباطنية وقد رد ابن الجوزي على أبي حامد في كتاب الاخيار وبين خطاه في مجلدات سماه كتاب الإحياء " ويعلق الذهبي على ذلك بقوله: "العلماء يختلفون ويخالف بعضهم بعضا ويرد بعضهم على بعض ويؤكد منهجه انه لا يذم العالم بسبب شخصي أو مذهبي أو بجهل [٢]. ثم ينقل عقيدة الإمام الغزالي ويترحم عليه وانه من كبار العلماء وفضلائهم ومع ذلك فليس بمعصوم عن الخطأ [٣]

وفي ترجمة إسماعيل بن عز القضاة علي بن حمد بن عبد الواحد الشيخ الزاهد العابد العالم فخر الدين أبو الفداء الدمشقي حيث أشار إلى انه كان اديباً شاعراً كاتباً وتزهد واقبل على العبادة عنه وكان ابن تيمية يعظمه ويبالغ حتى وقف على ابيات له أولها :

وحياتكم ما ان ارى لكم سوى اذا انتم عين الجوارح والقوى

فتألم ابن تيمية من ذلك وقال ان هذا الشعر عين الاتحاد ويعلق الذهبي على رأي ابن تيمية بقوله :" إنما أراد أن ينظم قوله عليه السلام في الحديث القدسي (فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به) [٤].وأشار إليه احد المشايخ بكتب ابن عربي ، فأقبل على كتب

---

[١] سير أعلام ، ١٩ / ٣٣٩-٣٤٠ .

[٢] سير أعلام ، ١٩ / ٣٤٢ .

[٣] الذهبي ، سير أعلام ، ١٩ / ٣٤٦ .

[٤] تاريخ الإسلام ، ٥١ / ٣٦٢ .

ابن عربي فنسخ كتبه وتلذذ بقرائتها ويدافع الذهبي عنه ويعتقد إن ابو الفداء لم يعرف مذهب ابن عربي جيداً لم يقع في تخبيطاته ولم يدعو الناس إلى فكر وأراء ابن عربي بل كان يستفيد من ظاهر كلامه ويقف عند متشابهه ولم يرد عنه ما يشين في دينه قولاً وفعلاً بل كان صاحب عبادة وأوراد وإتباع الأثر وكان عليه نور الإسلام وضوء السنة ثم ترضى عنه[١] وتحدث الذهبي عن ابن الأعرابي ووسمه بالزاهد الثقة الثبت وانه صاحب كتاب "طبقات النساك" ونقل كلامه في موضوع الفناء والبقاء[٢]وهو من الموضوعات المعقدة والشائكة في التصوف وقد اخطأ الكثير من الناس في فهمه وأورد كلامه " وإنما كانوا يقولون جمع ،وصورة الجمع عند كل واحد بخلافها عند الآخر وكذلك صورة الفناء فكانوا يتفقون في الأسماء ويختلفون في معناها لأن ما تحت الاسم غير محصور لأنها من المعارف وكذلك علم المعرفة غير محصور ولا نهاية له ، ولا لوجوده إلى أن قال فإذا سمعت الرجل يسال عن الجمع أو الفناء أو يجيب فيهما فاعلم انه فارغ ليس من أهلها، لان أهلها لا يسألون عنها ، لعلمهم بأنها لا تدرك وصفاً وكذلك المجيب منها إن كان من أهلها علم أن السائل ليس من أهلها فمحال إجابته كما هو محال سؤال من أهلها . فإذا رأيت سائلاً عن ذلك فاعلم فراغه وعاميته "[٣] .

وينقل الذهبي بعض الأقوال في الفناء والبقاء ولا يفندها وعلى ما يبدو فانه يؤيد ما استقام منها وما كان صادقاً كما ذكرنا في النصوص السابقة . فعن أبي الحسين النوري الزاهد شيخ الصوفية يروي انه قال" سبيل الفانين الفناء في محبوبهم وسبيل الباقين البقاء ببقائه ومن ارتفع عن الفناء والبقاء فحينئذ لا فناء ولا بقاء " [٤]. أما عن إبراهيم الخواص الصوفي فقد قال " علم الفناء والبقاء يدور على إخلاص الوحدانية وصحبة العبودية وما

---

[١]تاريخ الإسلام ، ٥١ / ٣٦٢ .

[٢]البقاء: هو رؤية العبد قيام الله على كل شيء، وقيل هو ان يفنى عما له ويبقى بما لله ، وهو مقام النبيين.ينظر : الحفني ، معجم مصطلحات الصوفية،ص٣٥.

[٣]تاريخ الإسلام ، ٢٥ / ١٨٥ .

[٤]الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ٢٢ / ٦٨ .

كان غير هذا فهو من المغاليط والزندقة " [١] والملاحظ أن الذهبي يسكت في إيراده لهذه المعلومات ولا ينتقد كعادته مما يدل على تأييده لأحوال الفناء والبقاء المستقيمة . ورفضه للفناء والبقاء الذي يدور الحديث فيه حول تصورات الاتحاد والحلول وما شاكلها .

روى الذهبي عن القناد قال : " كتبت إلى النوري وأنا حدث إذا كان كل المرء في الكل فانياً ابن لي عن أي الوجودين يخبر، فأجاب لوقته : إذا كنت فيما ليس بالوصف فانياً فوقتك في الأوصاف عندي تحير " ويعلق الذهبي على ذلك :" هذا يحتاج إلى شرح طويل وتحرز عن الفناء الكلي ومرادهم بالفناء فناء الأوصاف النفسانية ونحوها ونسيانها بالاشتغال بالله تعالى وبعبادته فان ذات العارف وجسده لا ينعدم ما عاش والكون وما حوى مخلوق والله خالق كل شيء ومبدعه " [٢] .

المبحث السادس :آراءه من التصوف الفلسفي والغلو والشطحات :

إن موقف الإمام الذهبي من التصوف والمتصوفة هو موقف يتعلق بالصوفي نفسه فإذا كان الصوفي نفسه ملتزماً بالشريعة الإسلامية معتدلاً فإننا نجد الذهبي يثني عليه ويمدحه وهذا واضح من خلال ما قدمناه في التراجم التي قدمها للمتصوفة ، نجده يعتذر ويبرر بعض الأخطاء التي وقع فيها بعض الصوفية مؤكداً على حسن النوايا ومع ذلك فهو لا يحب التصوف الذي يقوم على الفلسفة ولا الغلو في التصوف ولهذا نجده يذم ابن سينا الحسين بن عبد الله العالم المعروف بكونه مزج بين التصوف والفلسفة فنجده يقول " ما اعلمه روى شيئاً من العلم ولو روى لما حلت الرواية عنه لأنه فلسفي النحلة ضال " ثم يستدرك بقوله " قلت روى في قانونه في طب النبي صلى الله عليه وسلم " [٣] وكذلك نجده يقول عن احمد بن قسي الأندلسي انه فلسفي التصوف مبتدع [٤]صنف كتاب "خلع

---

[١]الذهبي ، العبر ، ٢ / ٢٥١ .

[٢]سير أعلام ، ١٤ / ٧٢ .

[٣]ميزان الاعتدال ، ٢ / ٢٩٤ .

[٤] ميزان الاعتدال ، ١ / ٢٧٢ .

النعلين" لـه فيـه اوابد ومصـائب وبـدع [١]. وقـال عـن علـي بـن احمـد الحرانـي المغربـي " صنف تفسيراً وملأه بالحقائق ونتائج فكرة وكان رجل فلسفي التصوف وزعم انه يستخرج من علم الحروف وقت خروج الدجال ووقت طلوع الشمس من مغربها ... "[٢] ومع ذلك يذكر عنه انه له مشاركة قوية في الفضائل وحلم مفرط وحسن سمت [٣]. وقال عن عبد الله بن محمد الهمذاني هو أحد الأذكياء له كلام في التصوف البدعي الفلسفي فصلب من أجل ذلك [٤] .

أما عن موقفه من الحلاج فانه يكفر الحلاج ويرد على النصر آبادي المتصوف الذي كان يرى ان الحلاج رجلاً صالحاً وكان يدافع عنه وذكر انه إذا كان بعد الصديقين موحد فهو الحلاج فنجد الذهبي يقول:" وهذه ورطة أخرى بل قتل الحلاج بسيف الشرع على الزندقة " [٥]،ولا نجده يعتذر عن الحلاج بل نقل الكثير من الروايات التي رواها المؤرخون والعلماء وفي جميعها لا يدافع عنه على الرغم من أن بعض الروايات التي رويت عنه لا يصدقها [٦] وذكر ايضاً الحسن بن علي بن يوسف بن هود الزاهد الكبير احد كبار المتصوفة على طريقة أهل الوحدة [٧] . وقال وحصل له زهد مفرط ، وفراغ عن الدنيا ، وسكرة عن إياه ، وغفلة متتابعة ، فسافر وترك الحشمة وتغرب ، وصحب الشيخ ابن سبعين واشتغل بالفلسفة والطب وترهات الاتحادية وزهديات الصوفية ، وخلط هذا بهذا ثم ختم الذهبي قوله كان يعجبني سمته وصمته ولعله رجع وأناب [٨].

---

[١]الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ٣٨ / ٣٣٨ ؛سير أعلام ، ٣١٦/٢٠.

[٢]الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ٤٦ / ٣٣٧ ؛سير أعلام ٤٧/٢٣؛ميزان الاعتدال ، ٥ / ١٤٠ .

[٣]الذهبي ، ميزان الاعتدال ، ٥ / ١٤١ .

[٤]الذهبي ، ميزان الاعتدال ، ٥ / ٣٦٩ .

[٥]سير أعلام النبلاء ، ١٦ / ٢٦٥.

[٦]تاريخ الإسلام ، ٢٣ / ٣٣؛ سير أعلام النبلاء ، ١٦ / ٢٦٤ ؛ ميزان الاعتدال ،٣٠٦/٢.

[٧]تاريخ الإسلام ، ٥٢ / ٢٩٥ .

[٨]تاريخ الإسلام ، ٥٢ / ٢٩٥ .

ونجد الذهبي في حديثه عن الصدر القونوي على الرغم من نعته بالشهيد إلا انه لا يرضى عن منهجه في التصوف على طريقة الاتحاد والوحدة وله تصانيف في ذلك [١].

وأثنى الذهبي على الحسن بن عدي بن أبي البركات بن صخر بن مسافر الملقب بتاج الدين العارف شمس الدين ،فضلا عن وصفه بتاج الإسلام والعارف وشمس الدين يذكر انه كان من رجال العلم رأياً ودهاءً كما أن له فضل وأدب وشعر جيد وتصانيف في التصوف وله أتباع ومريدين يتغالون فيه .ويستدرك فينبه القارىء بقوله: " ورأيت له كتاباً فيه عشرة أبواب، احد الأبواب إثبات رؤية الله تعالى عياناً ، وان غير واحد من الأولياء رأى الله تعالى عياناً واستدل على ذلك ،_ فنعوذ الله من الخذلان والضلال_ .. له ديوان شعر فيه أشياء من الاتحاد "[٢].

أما مسألة رؤية الله عز وجل عياناً في الحياة الدنيا فهي مستحيلة والأنبياء ولم يروه عز وجل، أما إن كان رؤيته بالبصيرة فهو معروف بين العلماء أما مسألة إن لديه شعر من الاتحاد فربما المقصود به اتحاد مجازي وهو أمر معروف في كلام المحبين والصوفية أما إذا كان المقصود هو اتحاد ذات الإنسان بذات الله فهو أمر غير صحيح ولن يحصل للإنسان وهو كفر صريح كما يقرر العلماء .ويقر الذهبي منهجه بقوله :" لا يكمل للرجل إيمانه حتى يبرأ من الحلولية والاتحادية الذين يقولون ان الله سبحانه وتعالى حل في الصور واتحدت،وانه بذوات البشر " [٣]. ذكر أبو يعقوب المغربي الصوفي العارف أن له كلام في الحقيقة والعرفان وله أصحاب وكان يوصف بالصلاح ويقصد بالزيارة ثم أورد أن ابن تيمية قال انه كان من الاتحادية [٤]. كما ذكر في حديثه عن التلمساني عفيف الدين سليمان بن علي بن عبد الله الأديب الشاعر انه احد زنادقة الصوفية " [٥].

---

[١]تاريخ الإسلام ، ٥٠ / ٩٢ .

[٢]تاريخ الإسلام ، ٤٧ / ٢٤٧-٢٤٨ .

[٣]الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ٤٧ / ٢٤٩ .

[٤]الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ٥٢ / ٣٧٨ .

[٥]الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ٥ / ٣٦٧ .

إن شطحات الصوفية أمر معروف فقد تمر بهم أوقات ينطقون بكلام غير واقعي وهذا في حالة الوجد والتأثر بورد من الأوراد أو ما شابه ذلك . فما هو موقف الذهبي من هذه الشطحات والأقوال : نجد في ترجمة أبو حمزة البغدادي محمد بن إبراهيم الصوفي يشير أن لأبي حمزة انحراف وشطح إلا أن له تأويل – كما يقول – ومن الأشياء التي أوردها عن أبي حمزة ورفضها البعض انه ذات يوم " تكلم أبو حمزة في جامع طرسوس فقبلوه فصاح غراب فزعق أبو حمزة لبيك لبيك فنسبوه إلى الزندقة وقالوا حلولي وشهدوا عليه وطرد وبيع فرسه بالمناداة على باب الجامع هذا فرس الزنديق " [١]. ومع هذا فقد مدح أبو حمزة بقوله انه شيخ من الشيوخ وكان بصيراً بالقرآءات كثير الرباط والغزو [٢].

أما أبو يزيد البسطامي فقد روى عنه أقوالاً في حالة الشطح منها قوله:" سبحاني ما أعظم شأني " ومنها " ما النار ، لا أستتدن إليها غداً وأقول : اجعلني لها فداء " وقال عن اليهود " هبهم لي ما هؤلاء حتى تعذبهم " " ما في الجبة إلا الله " وقال الذهبي هذا الشطح إن صح عنه فقد يكون قاله في حالة سكره وهذا الكلام له تفسير وتأويل يخالف ظاهره فالله اعلم [٣]،اشار ان للبسطامي اقوال جيدة وجاء عنه اقوال لم يحكم انها له او قالها في حالة الدهشة والسكر فتلك لايلتفت اليها ولايحتج بها لان ظاهرها الحاد[٤]وقال لا تصح عن مسلم فكيف بمثل أبي يزيد البسطامي [٥]

ومن الأخطاء التي وقع فيها النصر ابادي وهو الإمام المحدث القدوة الواعظ شيخ الصوفية – لاحظ مدح الذهبي له – أبو القاسم إبراهيم بن محمد النصر ابادي النيسابوري الزاهد واورد الذهبي كلام السلمي فيه " كان شيخ الصوفية بنيسابور له لسان الإشارة مقروناً بالكتاب والسنة وكان يرجع إلى فنون منها حفظ الحديث وفهمه وعلم التاريخ وعلوم المعاملات والإشارة ... ومع عظم محله كم من مرة قد ضرب واهين وكم حبس فقيل له

---

[١]تاريخ الإسلام، ٢٠/ ١٥٥؛ سير أعلام ، ١٣ / ١٦٦ ؛ينظر:الاصبهاني ، حلية الأولياء ١٠/ ٣٢١.

[٢]سير أعلام ، ١٣ / ١٦٦ .

[٣]الذهبي ،تاريخ الإسلام، ١١٢/٢٠؛ سير أعلام النبلاء ، ١٣ / ١٦٦ ؛وللمزيد من شطحات البسطامي ينظر: بدوي، عبد الرحمن ،شطحات الصوفية،ط٢،وكالة المطبوعات(الكويت –١٩٧٦) ص٢٨–٣٢.

[٤]الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ١٣ / ٨٨.

[٥]الذهبي، تاريخ الاسلام ،٢٠/ ١١٢

انك تقول الروح غير مخلوقة فقال لا أقول هذا ولا أقول إنها مخلوقة بل أقول الروح من أمر ربي فجهدوا به فقال : ما أقول إلا ما قال الله " ويعلق الذهبي :" وهذه هفوة بل لا ريب في خلقها ولم يكن سؤال اليهود لنبينا صلى الله عليه وسلم عن خلقها ولا قدمها وإنما سألوا عن ما هيئتيها وكيفيتها ، قال الله تعالى : ﴿ **الله خالق كل شيء**﴾ [١]. فهو مبدع الأشياء وموجد كل فصيح وأعجم ذاته وحياته وروحه وجسده وهو الذي خلق الموت والحياة والنفوس سبحانه " [٢].

النتائج

بعد الوقوف مع الإمام الذهبي في تناوله الصوفية في مصنفاته اتضح نتائج عديدة :

١- انه كان يمدح وأثنى على الكثير من الصوفية ويعدهم ملتزمين بالدين والشريعة الإسلامية بل ويعدهم من أعلام الأمة الإسلامية مثل الجنيد البغدادي والشيخ عبد القادر الكيلاني وأبو حامد الغزالي .

٢- اثبت أن للصوفية كرامات عديدة وهي من خوارق العادات التي قد لا يقبلها بعض الناس أو يتصورونها مستحيلة، علماً إن الكرامات أمر يقرره علماء الشريعة الإسلامية جميعهم.

٣- ذم الذهبي فلاسفة التصوف في وضعهم نظريات عديدة وآراء عدها متطرفة وليست من الدين والشريعة وذم أصحابها بل كفر البعض منهم .

٤- أوَّلَ العديد من الشطحات والأقوال التي طرحها الصوفية والتي قد يتصور البعض أنها كفر أو إنها زيغ وضلال ، وقال إنها منسوبة اليهم وهم منها بُراء.

٥- أكد أن لبعض الصوفية أخطاء وهم كسائر علماء الأمة الإسلامية يؤخذ منهم ويرد عليهم إلا معصوم الرسول صلى الله عليه واله وسلم على حد قوله .

---

[١] الزمر ، الآية ٦٢ .

[٢] الذهبي ، سير أعلام ، ١٦ / ٢٦٣-٢٦٤ ؛وينظر: مخلوطة، خلدون عبد العزيز، فكر الحافظ الذهبي من خلال تعليقاته في سير اعلام النبلاء جمع وترتيب وتعليق، ط١،دار البشائر(دمشق-٢٠٠٤)ص١٤٩.

٦- قيّم بعض المصنفات الصوفية وأشار إلى أهميتها وقيمتها العلمية رغم أن فيها أخطاء وانحرافات ممكن تجنبها والاستفادة من الباقي .

٧- أكدَ على اهتمام الصوفية بالعلوم الشرعية والدينية وفند بذلك زعم البعض من ان الصوفية لا يهتمون بالعلوم الدينية على اعتبار أن البعض منهم ادعى أن علومه إلهامية نتيجة العبادة والتقوى والقرب من الله .

٨- إن مصنفاته مليئة بأقوال وحكم الصوفية التي يتناقلها الصوفية .

Al-Thahaby's Opinion about Sufisim

Dr. Abdulqader A. Yonis
Dr. Mohamed A.Ahmed

Abstract

Imam Al-Thahaby considered one of the most important experts that deals with Al-Hadith , writing of history and biographer. His books writes about faiths Islamic groups and think and scintifcal life. He writes about Sufisim and Theirs chiefs . He shows Saints miracles and paise of their chiefs. Finally , he explained the types of Sufism, praised part of it and dispraise another.